# كَيفِيَّةُ طَلَبِ الحَقِّ


لِلشَّيخِ العَلَّامَةِ عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ يَحيَى المُعَلِّمِيِّ اليَمَانِيِّ

(المتوفى: ١٣٨٦هـ)


«رسالة جميلة في بيان أحسن طريقة لطلب الحق»

«وهي نصيحة طيبة لطالب الحق»


اعتَنَى بها أَبو مَشْكُور الإِسْرافِيلي

عَبدِ الشَّكُور بن عَليِّ بن عَبد الله الصَّومَالي

كَانَ اللهُ مَعَه فِي الدُّنيَا وَالآخِرة

# المقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أما بعد:

فهذه نصيحة عظيمة للإمام عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن حسن المعلمي العُتْمي اليماني لطالب الحق، نشرتها ليستفاد منها، فلعل الله أن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

# نَصُّ الرِّسالة

**ينبغي لطالب الحق من المسلمين أن يختبر نفسَه قبل البحث، ويسألها:**

**[١] التقليدَ تريد أم التحقيق؟**(١)

**فإن كانت تريد التقليد؛ فأولى من قُلِّد في العقائد كتاب الله وسنة رسوله [ﷺ]، فإن لم يكن أهلًا للنظر فيهما، فليبذل جهده في تحصيل التأهُّل.**

**وإن كان يريد التحقيق؛ فالتحقيق في الكتاب والسنة أيضًا، فإنه لا أعلم بالله عزَّ وجلَّ من نفسه، ثم من رسوله [ﷺ].** (٢)

---

(١) قال الإمام ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٣٤): "فَعَلَيْكَ يَا أَخِي بِحِفْظِ الْأُصُولِ وَالْعِنَايَةِ بِهَا، وَاعْلَمْ أَنَّ:

[١] مِنَ عَنَى بِحِفْظِ السُّنَنِ وَالْأَحْكَامِ الْمَنْصُوصَةِ فِي الْقُرْآنِ.

[٢] وَنَظَرَ فِي أَقَاوِيلِ الْفُقَهَاءِ فَجَعَلَهُ عَوْنًا لَهُ عَلَى اجْتِهَادِهِ، وَمِفْتَاحًا لِطَرَائِقِ النَّظَرِ، وَتَفْسِيرًا لِجُمَلِ السُّنَنِ الْمُحْتَمِلَةِ لِلْمَعَانِي.

[٣] وَلَمْ يُقَلِّدْ أَحَدًا مِنْهُمْ تَقْلِيدَ السُّنَنِ الَّتِي يَجِبُ الِانْقِيَادُ إِلَيْهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ دُونَ نَظَرٍ.

[٤] وَلَمْ يُرِحْ نَفْسَهُ مِمَّا أَخَذَ الْعُلَمَاءُ بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ حِفْظِ السُّنَنِ وَتَدَبُّرِهَا وَاقْتِدَائِهِمْ فِي الْبَحْثِ وَالتَّفَهُّمِ وَالنَّظَرِ.

[٥] وَشَكَرَ لَهُمْ سَعْيَهُمْ فِيمَا أَفَادُوهُ، وَنَبَّهُوا عَلَيْهِ.

[٦] وَحَمِدَهُمْ عَلَى صَوَابِهِمُ الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ أَقْوَالِهِمْ وَلَمْ يُبَرِّئْهُمْ مِنَ الزَّلَلِ كَمَا لَمْ يُبَرِّئُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهُ:

فَهَذَا هُوَ الطَّالِبُ الْمُتَمَسِّكُ بِمَا عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ، وَهُوَ الْمُصِيبُ لِحَظِّهِ وَالْمُعَانُ لِرُشْدِهِ وَالْمُتَّبِعُ سُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَدْيِ صَحَابَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَعَمَّنِ اتَّبَعَ بِإِحْسَانٍ آثَارَهُمْ، وَمَنْ أَعْفَى نَفْسَهُ مِنَ النَّظَرِ وَأَضْرَبَ عَمَّا ذَكَرْنَا وَعَارَضَ السُّنَنَ بِرَأْيِهِ، وَرَامَ أَنْ يَرُدَّهَا إِلَى مَبْلَغِ نَظَرِهِ فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ، وَمَنْ جَهِلَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَيْضًا وَتَقَحَّمَ فِي الْفَتْوَى بِلَا عِلْمٍ فَهُمْ أَشَدُّ عَمًى وَأَضَلُّ سَبِيلًا".

(٢) انظر آثار المعلمي (٥/ ٢٢).

**ثم ينبغي لطالب الحق أن يقدِّم قبل النظر في المسألة: (١)**

**[٢] محاسبةَ نفسه، بأن يتجسس فيها: هل لها ميلٌ إلى وجهٍ معيّن في تلك المسألة؟، أو إلى أي وجه يكون ذهب إليه فلان؟، أو أصحاب هذا المذهب؟، أو هذه الفرقة.؟**

---

(١) ينبغي أن يعلم أولا أن طريقة وكيفية تحقيق المسائل عند المحققين الذين لا يتعصبون لأحد جمع أدلتها من الكتاب والسنة، مع مراعاة قواعد اللغة العربية والأصول والمصطلح، ثم نظر كلام الفقهاء بدون أن يقلد الباحث أحدا منهم، فيأخذ كلامهم ما يوافق السنة والكتاب، ويترك ما يخالف ذلك، مع عدم معارضة القواعد بالسنة.

يقول محدّث العصر العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١/ ق١/ ١٩٣) برقم (٩١) وهو يرد على بعض الناس: "ومعنى التحقيق العلمي كما لا يخفى أن يتتبعوا الأحاديث كلها الواردة في هذا الباب ويدرسوا طرقها ورجالها، ثم يحكموا عليها بما تستحق من صحة أو ضعف، ثم إذا صح عندهم شيء منها درسوها من ناحية دلالتها وفقهها وعامها وخاصها، وذلك كله حسبما تقتضيه قواعد علم أصول الحديث وأصول الفقه، لو فعلوا ذلك لم يستطع أحد انتقادهم، ولكانوا مأجورين، ولكنهم - والله - لا يصنعون شيئا من ذلك، ولكنهم إذا عرضت لهم مسألة نظروا في أقوال العلماء فيها، ثم أخذوا ما هو الأيسر أو الأقرب إلى تحقيق المصلحة زعموا، دون أن ينظروا موافقة ذلك للدليل من الكتاب والسنة، وكم شرعوا للناس - بهذه الطريقة - أمورا باسم الشريعة الإسلامية، يبرأ الإسلام منها. فإلى الله المشتكى.

فاحرص أيها المسلم على أن تعرف إسلامك من كتاب ربك، وسنة نبيك، ولا تقل: قال فلان، فإن الحق لا يعرف بالرجال، بل اعرف الحق تعرف الرجال، ورحمة الله على من قال:

العلم قال الله قال رسوله *** قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة *** بين الرسول وبين رأي فقيه

كلا ولا جحد الصِّفات ونفيها *** حذرا من التمثيل والتشبيه"

التحفة الإسرافيلية لأبي مشكور الإسرافيلي (ص/ ٧٧).

فإن وَثِقَ بأنه لا ميلَ له البتةَ: فالظاهر أنه الآن بريء من الهوى، لكن لا يأمن أن يعرض له الهوى بعد ذلك لعروضِ سبب من أسبابه!!!، وهي كثيرة.

[٣] ومتى بان له الميل[١] فليبحث عن سببه، فإن وثِق بأنه لبرهان يقيني لا يحتمل النقيض بوجهٍ من الوجوه فليس هذا بهوًى،[٢] فإن كان معه هوًى فهو هوًى وافق الحق.[٣]

---

(١) أي: إلى قول معيَّن.

(٢) لأن الأصل أن يأخذ الشخص ظاهر الدَّليل حتى يجد دليلا آخر يعارضه أو يكون إجماع الأمة على خلافه، إجماعا محققا لا مجرد دعوى، يقول الإمام ابن القيم في طريق الهجرتين (ص/ ٣٩٣): "عادتنا في مسائل الدين كلها، دقيقها وجليلها أن نقول بموجبها، ولا نضرب بعضها ببعض، ولا نتعصب لطائفة على طائفة، بل نوافق كل طائفة على ما معها من الحق، ونخالفها فيما معها من خلاف الحق. لا نستثنى من ذلك طائفة ولا مقالة، ونرجو من الله أن نحيا على ذلك، ونموت عليه ونلقى الله به، ولا حول ولا قوة إلا بالله."

(٣) قال العلامة الشوكاني رحمه الله في أدب الطلب (ص/ ٢٠٥): وَمن حق الْإِنْصَاف ولازم الِاجْتِهَاد أَن لَا يحسن الظَّن أَو يسيئه بفرد من أَفْرَاد أهل الْعلم، على وَجه يُوجب قبُول مَا جَاءَ بِهِ أَو رده من غير إِعْمَال فكر، وإمعان نظر، وكشف وَبحث؛ فَإِن هَذَا شَأْن المقلدين، وصنيع المتعصبين، وَإِن غرته نَفسه بِأَنَّهُ من المنصفين، وَأَن لَا يغتر بِالْكَثْرَةِ؛ فَإِن المُجْتَهد هُوَ الَّذِي لَا ينظر إِلَى من قَالَ، بل إِلَى مَا قَالَ، فَإِن وجد نَفسه تنازعه إِلَى الدُّخُول فِي قَول الْأَكْثَرين، وَالْخُرُوج عَن قَول الأقلين، أَو إِلَى مُتَابعَة من لَهُ جلالة قدر، ونبالة ذكر، وسعة دَائِرَة علم، لَا لأمر سوى ذَلِك، فَيعلم أَنه قد بَقِي فِيهِ عرق من عروق العصبية، وَشعْبَة من شعب التَّقْلِيد، وَأَنه لم يوف الِاجْتِهَاد حَقه.

وَبِالْجُمْلَةِ فالمجتهد على التَّحْقِيق هُوَ من يَأْخُذ الْأَدِلَّة الشَّرْعِيَّة من مواطنها على الْوَجْه الَّذِي قدمْنَاهُ، ويفرض نَفسه مَوْجُودا فِي زمن النُّبُوَّة، وَعند نزُول الْوَحْي، وَإِن كَانَ فِي آخر الزَّمَان وَكَأَنَّهُ لم يسْبقهُ عَالم، وَلَا تقدمه مُجْتَهد، فَإِن الخطابات الشَّرْعِيَّة تتناوله كَمَا تناولت الصَّحَابَة من غير فرق، وَحِينَئِذٍ يهون الْخطب، وَتذهب الروعة الَّتِي نزلت بِقَلْبِه من الْجُمْهُور، وتزول الهيبة الَّتِي تدَاخل قُلُوب الْمُقَصِّرِينَ".

وإن كان ليس إلا لدليل غير قاطع فليقلْ لنفسه: دَعِي عنكِ الهوى، فأنا الآن في مقام النظر، ولعلّي أجد دليلًا مخالفًا لذاك أقوى منه. (١)

وإن كان لدليلٍ لا يُعتدّ به،(٢) أو لأمرٍ آخر ليس بدليلٍ أصلاً،(٣) أو لم يتبيَّن له السبب، فذلك هو الهوى الذي من شأنه أن يُعمي ويُصِمّ.

[٤] وطريق النجاة حينئذٍ أن يبدأ فيجاهد نفسه في اقتلاع ذلك الهوى منها، فإن عجز فليعرف ذلك الهوى، وليخش أن يكون ما يلوح له معه أنه دليل ليس إلا شبهة قوَّاها الهوى، قال الله تبارك وتعالى في الكفار: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الأعراف:٣٠]. (٤)

---

(١) من الذي عنده الآن، فإنه يوطِّن نفسه بأنه لو وجه دليل أقوى من هذا لأخذ به.

(٢) كأن يكون ضعيفا.

(٣) ككونه قول الجمهور، أو قاله صاحب المذهب.

قال الآلوسي رحمه الله في تفسير روح المعاني (٥/ ١٥٦): "وما عليَّ إذا خالفت في بعض المسائل مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه؛ للأدلة التي لا تكاد تحصى، فالحق أحق بالاتباع، والتقليد في مثل هذه المسائل من سنن العوام."

(٤) كان شيخ الإسلام إذا انغلقت عليه المسائل يدعو ربه، ويقول: "يا معلّم آدم علّمني، ويا مفهّم سليمان فهّمني" بل يتكلّم عن نفسه ويقول: "رُبَمَا طالعت على الْآيَة الْوَاحِدَة نَحْو مائَة تَفْسِير ثمَّ أسأَل الله الْفَهم وَأَقُول يَا معلم آدم وَإِبْرَاهِيم عَلمنِي وَكنت أذهب إِلَى الْمَسَاجِد المهجورة وَنَحْوهَا وأمرغ وَجْهي فِي التُّرَاب وأسأل الله تَعَالَى وَأَقُول يَا معلم إِبْرَاهِيم فهمني".

يقول العلامة ابن القيّم رحمه الله في أعلام الموقعين (٤/ ١٩٨): "وَكَانَ شَيْخُنَا كَثِيرَ الدُّعَاءِ بِذَلِكَ، وَكَانَ إذَا أَشْكَلَتْ عَلَيْهِ الْمَسَائِلُ يَقُولُ " يَا مُعَلِّمَ إبْرَاهِيمَ عَلِّمْنِي " وَيُكْثِرُ الِاسْتِعَانَةَ بِذَلِكَ".اهـ

العقود الدرية (ص/ ٤٢).

**[٥] وبالجملة فمسالك الهوى دقيقة، والسلامة منه عزيزة،[(١)] والتمييز معه بين الحجة والشبهة صعب.[(٢)]**

---

(١) قال الإمام المعلمي في القائد إلى تصحيح العقائد (ص/ ٣٢): "وبالجملة فمسالك الهوى أكثر من أن تحصى، وقد جربت نفسي أنني:

[١] ربما أنظر في القضية زاعماً أنه لا هوى لي.

[٢] فيلوح لي فيها معنى، فأقرره تقريراً يعجبني.

[٣] ثم يلوح لي ما يخدش في ذاك المعنى.

[٤] فأجدني أتبرم بذاك الخادش وتنازعني نفسي إلى تكلف الجواب عنه وغض النظر عن مناقشة ذاك الجواب.

وإنما هذا لأني لما قررت ذاك المعنى أولاً تقريراً أعجبني صرت أهوى صحته، هذا مع أنه لا يعلم بذلك أحد من الناس، فكيف إذا كنت قد أذعته في الناس ثم لاح لي الخدش؟ فكيف لو لم يلح لي الخدش ولكن رجلاً آخر أعترض عليّ به؟ فكيف إذا كان المعترض ممن أكرهه؟ هذا ولم يكلف العالم بأن لا يكون له هوى؟ فإن هذا خارج عن الوسع، وإنما الواجب على العالم أن يفتش نفسه عن هواها حتى يعرفه ثم يحترز منه ويمعن النظر في الحق من حيث هو حق، فإن بان له أنه مخالف لهواه آثر الحق على هواه."

يقول شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٥٦): " وَقَدْ أَوْعَبَتْ الْأُمَّةُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ إيعَابًا فَمَنْ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ هَدَاهُ بِمَا يَبْلُغُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ أَعْمَاهُ لَمْ تَزِدْهُ كَثْرَةُ الْكُتُبِ إلَّا حَيْرَةً وَضَلَالًا".

(٢) الشبهة في اللغة: الالتباس والتشابه، واصطلاحا: الشُّكُوكُ الَّتِي تُوقِعُ فِي اشْتِبَاهِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، فَيَتَوَلَّدُ عَنْهَا الْحَيْرَةُ وَالرِّيبَةُ. قال ابن القيم: "والشُّبهة وَارِد يَرِد عَلَى الْقَلبِ يحول بَينه وَبَين انكشاف الْحق لَهُ".

وَإِنَّمَا سميت الشُّبْهَة شُبْهَة لاشتباه الْحق بِالْبَاطِلِ فِيهَا؛ فإنها تلبس ثوب الْحق على جسم الْبَاطِل.

وحقيقتها التباس الحق بالباطل واختلاطه حتى لا يتبين، وليس هذا في نفس الأمر، وإنما هو نسبي إضافي، أي: من لم يتبين له وجه الحق في ذلك.

قال شيخ الإسلام: "وَهَكَذَا عَامَّةُ مَا تَنَازَعَ فِيهِ النَّاسُ يَكُونُ مَعَ هَؤُلَاءِ بَعْضُ الْحَقِّ؛ وَقَدْ تَرَكُوا بَعْضَهُ كَذَلِكَ مَعَ الْآخَرِينَ. وَلَا يَشْتَبِهُ عَلَى النَّاسِ الْبَاطِلُ الْمَحْضُ؛ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يُشَابَ بِشَيْءِ مِنْ الْحَقِّ؛ فَلِهَذَا لَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّك؛ فَإِنَّهُمْ هُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ كُلِّهِ؛ وَصَدَّقُوا كُلَّ طَائِفَةٍ فِيمَا قَالُوهُ مِنْ الْحَقِّ؛ فَهُمْ جَاءُوا بِالصِّدْقِ وَصَدَّقُوا بِهِ فَلَا يَخْتَلِفُونَ. ". انظر ومدارج السالكين (٣/ ٥٥٢) ومفتاح دار السَّعادة (١/ ١٤٠) وإغاثة اللهفان (٢/ ١٦٥-١٦٧) ومجموع الفتاوى (٨/ ٣٧).

**[٦] لكن من صدقت رغبته في إصابة الحق، وبذل وسعه في جهاد نفسه، وتضرَّع إلى الله عزَّ وجلَّ سائلًا منه التوفيق،(١) فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾** [سورة العنكبوت:٦٩].(٢)

(١) لأن العبد مفتقر إلى الله سبحانه وتعالى، فيسأله أن يهديه، كما أمر الله تعالى في الحديث القدسي الذي في مسلم عن أبي ذر: «يا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ».

قال شيخ الإسلام: "فَإِذَا افْتَقَرَ الْعَبْدُ إلَى اللَّهِ وَدَعَاهُ وَأَدْمَنَ النَّظَرَ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: انْفَتَحَ لَهُ طَرِيقُ الْهُدَى".

وقال أيضا: "وقد يشكل الشيء ويشتبه أمره في الابتداء فإذا حصل الاستعانة بالله واستهداؤه ودعاؤه والافتقار إليه أو سلوك الطريق الذي أمر بسلوكها هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم".

انظر مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩) (٥/ ١١٨) والصفدية (١/ ٢٩٥).

(٢) انظر آثار الإمام المعلمي (٢٢/ ٢٥٨).

كان التعليق على هذه الفتوى (ليلة الجمعة/ ١٩/ ربيع الآخر/ ١٤٤٢هـ) بقلم أبي مشكور الصومالي الإسرافيلي، والحمد لله ربِّ العالمين.